من الاسلحة الهجومية لم تلبّ، ممّا أدّى الى هبوط عام في المعنويات. وسرعان ما أدرك المصريون ان السوفيات ليسوا على استعداد لتلبية احتياجاتهم من الاسلحة الهجومية، ممّا أدّى الى مماحكات ازاء محاولات المصريين زيادة شحنات الاسلحة. ان مثل هذا الخلاف حول مقدار، او نمط، المعونة العسكرية السوفياتية، اسهم في دفع القاهرة الى الاعتقاد بأن «موسكو تكسب من مصر أكثر ممّا تعطيها»[٩٠]. بل ان شعور المصريين بأنهم موضع استغلال احدى القوتين العظميين أوصلهم الى تقدير واقعي للامور. وقد عبّر عبدالناصر، في مباحثاته مع الرئيس اليوغسلافي، جوزيب بروز تيتو، عن شعور بالاحباط لديه، حيث قال: «ارجو ان تنقل الى السوفيات انني أفضّل القبول بالهزيمة، بل بأي شيء، في الواقع، على ان أُعامل بهذا الاسلوب»[٩١].

بيد ان المعارك الجوية والمدفعية، من طرف واحد، خلال حرب الاستنزاف، اقنعت القادة السوفيات بزيادة شحنات اسلحتهم لمنع هيمنة الاسرائيليين في هذه المواجهة. ولم يقتصر السوفيات على تحسين الدفاع الجوي المصري، على نحو دراماتيكي، فحسب، وانما زوّدوا المصريين بقدرات هجومية كافية لعبور قناة السويس، الّا ان هذه البادرة كانت هزيلة تماماً، ومتأخّرة أيضاً، لانقاذ صورة السوفيات. ان الاستياء والاحباط لدى المصريين، وشعورهم بأن موسكو قد استغلّتهم لمآرب خاصة، في لعبة الاستقطاب مع الولايات المتحدة الاميركية، دمّر صورة الاتحاد السوفياتي الى الحدّ الذي بات من الصعب اصلاحه.

من هنا، ليس من قبيل المصادفة في شيء ان يصل عرفات على رأس وفد فلسطيني ممثلاً لعدد من الفصائل (عدا الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة) في الموعد الاخير الذي حدّده السادات لرحيل المستشارين السوفيات (١٧ تموز ـ يوليو)، بناء على دعوة من اللجنة السوفياتية للتضامن الآفرو ـ آسيوي. وقد ضمّ الوفد، الى جانب عرفات، كلاً من رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، خالد الفاهوم، وزهير محسن، وفاروق القدومي، واحمد المرعشلي، وتيسير قبعة، وياسر عبدربه (اعضاء في اللجنة التنفيذية)، اضافة الى احمد الازهري[٩٢]. كان المؤشر واضحاً: لا بدّ لموسكو من الاعتماد على الفلسطينيين نتيجة انحسار نفوذها في مصر[٩٣]. ويبدو ان هذه الحقيقة الجديدة من حقائق النظام الاقليمي تمثّل مزايا لقوة حليف للاتحاد السوفياتي، مثل منظمة التحرير الفلسطينية، لكن هذه الحقيقة كانت تنطوي على مشكلات لا يستهان بها بالنسبة الى الاخيرة، الامر الذي دفعها الى البحث عن موقف «مرن» يجنّبها ان «تُحشر» بين ارتباطاتها الجديدة بالحليف السوفياتي، وبين مشاركتها في الصراع الدائر في المنطقة. ولا شك في ان هذه «المرونة» في السياسة كانت تتلاءم مع تطلعاتها الخاصة، ولكنها تخدم، في الوقت عينه، السياسات السوفياتية في المنطقة[٩٤].

في هذا الاطار، عقد الوفد الفلسطيني مباحثات مع العضو المرشّح للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي، بوريس بوناماريوف. وفي البيان المشترك، الذي أُصدر عقب المباحثات، ركّز الجانبان، الفلسطيني والسوفياتي، على انهما تبادلا الآراء حول الوضع الراهن في منطقة الشرق الاوسط، وفي حركة المقاومة الفلسطينية، وحول التوطيد اللاحق للتعاون والتضامن في النضال ضد الامبريالية، وفي سبيل تحرير الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل. وتحدّث الوفد الفلسطيني عن كفاح حركة المقاومة الفلسطينية ضد الامبريالية والعدوان الاسرائيلي، وفي سبيل احقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني. كما أعرب عن الامتنان للشعب السوفياتي لدعمه حركة التحرر الوطني العربية، ولقاء المساعدة التي يقدّمها الى منظمة التحرير الفلسطينية، الممثلة للشعب العربي الفلسطيني. وأكد الوفد ان مساعدة الاتحاد السوفياتي للشعوب العربية، ومنها